

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة عرض ومناقشة كتاب

صدر أخيراً كتاب "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" (منهج التدريس الجامعي)، تأليف عبد الله المصلح وعبد الجواد الصاوي، وبمشاركة ١١ باحثاً ذكرت أسماؤهم في صفحة الغلاف الداخلي، وذلك عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بمكة المكرمة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م. وذكر على الغلاف الأخير أن الكتاب معتمد من المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية المكون من ١٢٠ جامعة.

ويتألف الكتاب، الذي يقع في ٣٦٥ صفحة، من عشرة فصول:

- الفصل الأول: مقدمة عامة عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- الفصل الثاني: الإعجاز العلمي في علوم الأجنّة والتشريح.
- الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في علوم الحياة.
- الفصل الرابع: الإعجاز العلمي في عالم الحيوان.
- الفصل الخامس: الإعجاز العلمي في علم الأرصاد والفلك.
- الفصل السادس: الإعجاز العلمي في علوم الأرض.
- الفصل السابع: الإعجاز العلمي في علوم البحار.
- الفصل الثامن: الإعجاز العلمي في الطب الوقائي.
- الفصل التاسع: الإعجاز العلمي في الأطعمة والأشربة والسلوكيات المحرمة.
- الفصل العاشر: الإعجاز العلمي في الغذاء والدواء.

مزايا الكتاب

- أول كتاب من نوعه معدّ خصيصاً لتدريس الإعجاز العلمي على المستوى الجامعي. هناك كتب أخرى أعدها فرد، وليس مجموعة أو هيئة.
- المتوقع أن يكون ما جاء في هذا الكتاب التدريسي من اختيارات هو أقوى وأوضح ما كتب في الإعجاز العلمي. وهذا ما يسهل على المراقب متابعة نماذج من هذا الإعجاز.
- طباعة أنيقة، وورق صقيل، وصور ملونة، بل الكتاب كله ملون، ففيه حرف أسود وأخضر وأزرق وأحمر.

ما يؤخذ على الكتاب

- كان من المستحسن أن يصدر كتاب تدريسي لكل كلية من الكليات، لا للكليات جميعاً، لاسيما وأن التفاصيل العلمية الموجودة في الكتاب لا يفهمها إلا أهل الاختصاص بها، وإلا فسيقتصر القارئ على الاكتفاء بقراءة أوجه الإعجاز دون غيرها من التفاصيل العلمية الواردة. ولو أرادت كل كلية أن تدرّس جزءاً منه يختص بها فسيكون هذا الجزء صغير الحجم، وأقل من أن يلائم هذه الكلية. ألم يقل المؤلفون إن القرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون؟ إذن هناك ما يكفي منها لكل كلية ولكل تخصص.
- كان من المستحسن أن يذكر في مقدمة الكتاب ما فعله كل مؤلف ومشارك في هذا الكتاب على التخصيص، لكن الكتاب جاء مشاعاً.

- ملاحظات موضوعية:

الأمعاء: قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد ١٥).
يقول مؤلف هذه الفقرة، ولم يُذكر من هو، بأن الأمعاء لا تتأثر بالحرارة، فإذا قطعت هذه الأمعاء شعر الإنسان بأعلى درجات الألم. لكن المشكلة هنا أن

الذي قطع الأمعاء هو الماء الحميم، فكان معنى ذلك أن الأمعاء تأثرت بحرارة هذا الماء الحميم حتى انقطعت، فصار الإعجاز إعجازاً لماء حميم يقطع الأمعاء، وليس إعجازاً علمياً نحتاج فيه إلى قطع الأمعاء أولاً حتى يفعل الماء الحميم فعله! وبهذا يجب التمييز في الكلام عن الإعجاز العلمي بين ما هو من قبيل السنن والقوانين العلمية وما هو من قبيل المعجزات الإلهية الخارقة لهذه السنن والقوانين.

العسل: قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل ٦٨-٦٩).

قال صاحب هذه الفقرة: " يتفق الخطاب بالتأنيث (اتخذي، كلي، فاسلكي، بطونها) مع المعرفة الحديثة بأن الذي يقوم بالبحث وجلب الغذاء هي الشغالة وليس الذكر " (ص ١٣٩).

غير أن المشكلة أن هذا الخطاب بالتأنيث سيبقى هو هو سواء كان المخاطب من ذكور النحل أو إناثها. فعلى المؤلف أن يبين لنا إذا أراد هو مخاطبة ذكور النحل كيف يخاطبها؟

اللبن: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (النحل ٦٦) قال المفسرون القدامى بأن اللبن خالص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به، وأن هذا اللبن لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث، أو لا يستصحب حمرة الدم وقذارة الفرث. وقال المعاصرون من أهل الإعجاز العلمي بأن مكونات اللبن تستخلص من بين الفرث والدم، دون أن يبقى أي أثر في اللبن من الفرث والدم.

فماذا أضاف الإعجاز العلمي الجديد إلى التفسير القديم؟ لقد جاءت عبارة المفسرين القدامى أبلغ وأدق وأوجز. ألم يقل أساتذة الإعجاز العلمي في صدر الكتاب وفي كثير من أجزائه بأن كلامهم سيضيف جديدًا بعد الاكتشافات العلمية الحديثة التي أثبتتها العلم التجريبي، وبعد تطور الوسائل العلمية الحديثة؟ لا يكاد يشعر القارئ بأن هناك فرقاً بين القديم والحديث في هذا الباب!

ملاحظات أخرى:

- الأسئلة الموجهة للطلبة ذات الخيارات المتعددة جوابها سهل لا يليق بالمستوى الجامعي، لأن الخيارات متباعدة، وكما جعلت متقاربة ومتداخلة كان جوابها أدق وأصعب.
- عدم الإحالة على كتب الحديث بالجزء والصفحة، أو ما يقوم مقام ذلك.
- بعض الأحاديث غير مخرّجة، مثل حديث: "كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة".
- كان من المستحسن كتابة أسماء العلماء الأجانب باللغة الأجنبية، وإلا فكيف نقرأ هذا الاسم: سبالا نزالى وغيره من الأسماء الأجنبية الكثيرة الواردة في الكتاب؟
- **أخطاء لغوية:** هناك أخطاء لغوية قليلة، منها: ص ٦٢، س ١٤ "مهياً" والصواب: مهياً. ص ٨٧، س ٩ "ابن" والصواب: بن. ص ٩٩، س ١٤ "رَبِي" والصواب: رَبَا. ص ١٠٢، س ١٢ "تباعد حبيبات التربة عن بعضها" والصواب: تباعد حبيبات التربة بعضها عن بعض. ص ١٠٥، س ٧ "تربوا" والصواب: تربو. ص ١٠٧، س ٦ "نقوش" والصواب: نقوشاً. ص ١٩١، س ٥ "جزءها" والصواب: جزأها. ص ٢٠٤، س ٥ "تتصل ببعضها البعض" والصواب: يتصل بعضها ببعض. ص ٢٤٥، س ١ "مائي" والصواب: ماءي. ص ٣٣٨، س ١٣ "اليائسين" والصواب: اليائسون.

وهناك أخطاء أخرى تتعلق بهمزات الوصل والقطع، والتمييز بين الياء والألف المقصورة.

- أخطاء مطبعية: منها ص ٧٦، س ٧ "×٢٣١ = ٦٢ والصواب: ٢×٣١ = ٦٢. ومنها ص ٩٦، س ٥ "والعضيات" لعل الصواب "والصبغات".

د. رفيق يونس المصري

الأربعاء ١٤٢٩/٤/٣ هـ

٢٠٠٨/٤/٩ م